بحوث قسم اللغة العبرية

قضية سفر وترحال اليهود في العصور الوسطى من خلال كتاب "סֵפֶר חֲסִידִים"

" دراسة تحليلية"

الباحث/ أيمن عبد الحفيظ علي محمد

جامعة الأزهر كلية اللغات والترجمة

قسم اللغة العبرية وآدابها

ملخص البحث :

يُعَدُّ السَّفر والترحال من القضايا التي شغلت اليهود في العصور الوسطى لأسباب شتى، فقد اضطر اليهود في أوروبا خلال تلك الحِقْبَة للخروج بعيدًا عن مكان إقامتهم سواء لطلب الرزق من خلال التجارة، أم لتحصيل العلوم الدينية في أماكن بعيدة، أم هروبًا من الاضطرابات أو أحداث العنف التي قد يواجهها اليهود لأسباب منها ما يتعلق برفضهم كأقلية مختلفة دينية وسط أغلبية مسيحية. ويعد كتاب "سيفر حسيديم" الذي يمثل "الحسيدية الأشكنازية" أحد أهم الكتب التي تناولت الحياة الاجتماعية اليهودية من جميع جوانبها خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، وقد أوضح صاحب الكتاب "رَابِي يَهودا هِاحَسِيد" وجهة نظرة تجاه خروج اليهودي من بيته قاصدًا وجهة بعيدة من خلال العديد من الفِقْرات داخل الكتاب؛ حيث يتضح أنه كان يرفض بشدة سفر اليهودي خارج محيط جماعته اليهودية إلا للضرورة القصوى وبشروط صعبة. وتتناول هذه الدراسة أسباب رفض "ר' יְהוּדָה הֶחָסִיד" سفر اليهود لمسافات بعيدة من خلال عرض بعض الفِقْرات من "סֵפֶר חֲסִידִים" التي تتحدث عن السَّفر للتجارة، على الرغم من أن السَّفر كان أمرًا شائعًا بين اليهود خلال الحِقْبَة المشار إليها.

الكلمات المفتاحية: السفر والترحال، كتاب "סֵפֶר חֲסִידִים"، العصور الوسطى، العائلة اليهودية، "رابي يهودا هاحسيد".

Medieval Jews travel through "Sefer Hasidim" (Analytical study)

Abstract: Travel was among the issues that preoccupied the Jews in the Middle Ages for many reasons. During that period, Jews in Europe were forced to go far from their place

of residence, whether to seek livelihood through trade, or to learn religious sciences in distant places, or to escape from the disturbances or violence incidents that Jews may face, for reasons including those related to their rejection as a different religious minority amidst a Christian majority.

The book "Sefer Hasidim", which represents "Ashkenazi Hasidism", is one of the most important books that dealt with Jewish social life in all its aspects during the twelfth and thirteenth centuries AD.

The author of the book R. Judah he-Hasid, explained his point of view towards the Jew's departure from his home, He allocated many paragraphs that deal with this issue from many angles. In general, he strongly rejected the travel of the Jew outside the vicinity of his Jewish community, except for extreme necessity and under difficult conditions.

This study will explain the reasons for the refusal of R. Judah he-Hasid to travel long distances by presenting some passages from "Sefer Hasidim", although travel was common among Jews during the aforementioned era.

Keywords: Travel, The Middle Ages, Family, Sefer Hasidim, R. Judah he-Hasid

مقدمة

يُعَدُّ السَّفر والتِّرْحَال من الغرائز الفطرية والاجتماعية التي وُلِدَت مع الإنسان، وتطورت هذه الغريزة مع مرور السنين، فالحركة أو التنقل مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ غريزة، وإحدى الطبائع البشرية. والسَّفر قديمًا كان لأسباب ضرورية في المقام الأول أو لأسباب دينية، ولم يكن مسألة ترْفيه كما هي الحال عليه اليوم، وكان السَّفر للعمل والتجارة من أهم الأسباب لخروج الإنسان من موطنه للبحث عن مصادر رزق أوْفر، وقد جاء ذلك في القرآن الكريم قاصًّا ما كان من أمر قريش وقيامهم برِحْلَتي الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ [١] لبلاد اليمن شتاءً، ولبلادِ الشام صيفًا.

ولا شك في أن اليهودي يظل خاضعًا تقريبًا طوال حياته في حلِّه وترحاله إلى السلطة الدينية التي تسيطر عليه قبل أن يأتي إلى الدنيا إلى أن يغادر منها؛ وربما بعد موته أيضًا. وقضية السَّفر والترحال كغيرها من القضايا التي تمس واقع اليهودي يجب أن تكون خاضعة أيضًا لسُلطة الحاخامات الذين يحددون متى يسافر اليهودي، ومتى لا، والمدة التي يمكن أن يظل فيها بعيدًا عن جماعته اليهودية، وواجبه نحو بيته وجماعته خلال سفره، والأحكام المترتبة على سفره.

كان لقضية سفر وترحال اليهودي وتركه لجماعته اليهودية أهمية كبيرة لدى زعماء اليهودية في العصور الوسطى، وبخاصة لدى "ר' יהודה החסיד" "رَابي يَهودا هاحسِيد"[٢] الذي أولاها اهتمامًا شديدا، وتناولتها من جوانب عديدة. وبالمجمل يمكن القول: إنه كان يرفض سَفر اليهودي لمسافات طويلة كما يتضح من خلال الكثير من الفِقْرات المنثورة داخل كتابه المشهور "סֵפֶר חֲסִידִים" أي "كتاب الأتقياء"، حيث يوجد في الكتاب أكثر من ثمانين فقرة تتناول بشكل صريح ومباشر مسألة سفر وترحال اليهودي لمسافات طويلة. ويعد هذا الكتاب أحد الكتب المهمة التي تتناولت هذه القضية ضمن تناوله للكثير من القضايا الدينية والاجتماعية خلال حقبة العصور الوسطى[٣].

وحيث إن كل خطوة يخطوها اليهودي لمغادرة بيته تنطوي على التعرض للعديد من المخاطر الكامنة وراء أسوار المدينة في العصور الوسطى، فقد تعرض صاحب الكَاتِب "رَابي يَهودا هاحسِيد" لهذه القضية في عشرات الفِقْرات التي بيّنت حكم ترك اليهودي لبيته وبلدته للخروج إلى مسافات بعيدة سواء لطلب العلم، أم السعي في الأرض طلبًا للزرق والتجارة، أم الهروب من الديون والمحاكمة والعقاب، أم لزيارة الأماكن الدينية. وستركز هذه الدراسة على سفر اليهودي من

أجل التجارة وبيان الأسباب التي دفعت الكاتب لمعارضته بشدة سفر اليهودي بعيدًا للتجارة بعيدًا عن أسرته وجماعته.

أهمية الدراسة: تأتي أهمية الدراسة في إظهار جانبًا من جوانب الحياة الاجتماعية والدينية لليهود خلال حقبة مهمة في حياتهم وهي العصور الوسطى، وكيف تعاملت السلطات الدينية اليهودية مع القضايا الاجتماعية والدينية لليهود، ومعارضة "رابي يهودا هاحسيد" خلافًا لغيره من حاخامات أوروبا لسفر اليهودي لمسافات بعيدة والوقوف على الأسباب التي جعلته يَنْحو هذا المنحى المخالف لإجماع السلطات الدينية اليهودية خلال تلك الحقبة.

أهداف الدراسة:

١- معرفة طبيعة الحياة الدينية والاجتماعية لليهود في حقبة العصور الوسطى.

٢- معرفة الأسباب التي دفعت اليهود للسفر والترحال بعيدًا رغم مخاطر السفر قديمًا.

٣- أسباب معارضة "رابي يهودا هاحسيد" لسفر اليهود.

٤- المصادر التي اعتمد عليها الكاتب في رفضه لسفر اليهود.

منهج الدراسة: اعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي بهدف تحليل المعطيات والقضايا المرَكَّبة الواردة في الكتاب من مختلف جوانبها للوصول إلى العناصر الأساسية للموضوعات، والوقوف على المضمون المقصود ومن ثم استخلاص النتائج.

وقد تناولت الدراسة النقاط التالية:

- السَّفر والتِّرْحَال في كتاب "סֵפֶר חֲסִידִים" "סִיפֵר חַסִידִיֵם"
- سفر اليهود مسافات طويلة للتجارة
- المشكلات الناتجة عن السَّفر للتجارة
- أسباب رفض الكاتب لسفر اليهودي بعيدًا عن بيته لمدة زمنية طويلة

السَّفر والتِّرْحَال في كتاب "סֵפֶר חֲסִידִים" "סִיפֵר חַסִידִיֵם"

يعد كتاب "סֵפֶר חֲסִידִים" أهم كتاب عبري تناول الحياة الدينية والاجتماعية لليهود في العصور الوسطى، وخصوصًا في أشكناز "ألمانيا" ويمثل هذا الكتاب حركة الحسيدية الأشكنازية التي ازدهرت خلال القرنين الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر. وقد طُبع هذا الكتاب للمرة الأولى في بولونيا (شمال إيطاليا) سنة ١٥٣٨م. والكتاب ليس كاملًا؛ حيث إن "رَابي يَهودا

هاحسِيد" كتبه قبل وفاته، وهو كتاب تعليم أخلاقي بشكل مفصل، يعتمد على بحث مُفصل لكل مناحي الحياة الواقعية، كما أنه يمثل تجديدًا واضحًا وقويًّا سواء من خلال الفكرة أم من خلال الشكل والأسلوب، وأيضًا من الناحية اللغوية والأدبية. يوصف الكتاب بأنه متفرد في مجاله في الأدب اليَهودي، ويُعَدُّ أسلوب الكتاب من الأساليب المفضلة لليَهود في العصور الوسطى، فهو مأخوذ من لغة الحديث لليَهود آنذاك(٤)

"وقد أُثْرِيَ الأدب العبري في العصر الوسيط بموتيف الارتحال كونه ظاهرة جديدة برزت منذ القرن الثاني عشر الميلادي، متلازمة مع نمو الزيارات للأماكن المقدسة، التي كانت تقوم بها الجاليات اليهودية الموجودة في البلدان المسيحية الكاثوليكية، فقد بدأ هؤلاء الحجاج" القدوم إلى فلسطين بعد دخول "الصليبيين" فلسطين في ١٠٩٩م، بالتزامن مع الاهتمام المسيحي بزيارة الأماكن المقدسة" (٥).

سفر اليهود مسافات طويلة للتجارة(٦)

كان السَّفر لمسافات طويلة شائعًا في الجماعات اليهودية والمجتمع المحيط خلال حقبة العصور الوسطى لأسباب سياسية ودينية واجتماعية. ولم يعارض الزعماء الدينيون اليهود السَّفر والترحال، بل شجعوا في بعض الحالات المسافرين؛ لكن "ר' יְהוּדָה הֶחָסִיד" كان له رأي مُعارض وثابت تقريبًا بمنع أي يهودي من السَّفر خارج الإقليم المحلي. وكانت التجارة هي إحدى المهن التي اشتغل بها اليهود الألمان في العصور الوسطى. وربما كان اليهود الألمان الأوائل تجارًا إيطاليين تم إحضارهم إلى المدن الألمانية لتقوية الاقتصاد المحلي فقد كان اليهود يسافرون بعيدًا عن ديارهم إلى بلدان أخرى بعيدة في أوروبا؛ بل امتد السَّفر للتجارة إلى ما وراء البحر، حيث توجد الجماعات اليهودية في بابل وشمال إفريقيا. وبسبب مخاطر الطرق العديدة التي كانت كامنة للتجار في رحلتهم، وطول الوقت الذي يستغرقه التجار للوصول إلى وجهتهم، فضَّل الكثير من التجار اليهود في أحيان كثيرة تمديد إقامتهم في بلدان المقصد، لفترة قد تمتد إلى عدة أشهر وحتى سنوات(٧).

المشكلات الناتجة عن السَّفر للتجارة

بسبب طول تلك الحِقْبَة التي يسافر فيها اليهودي للتجارة كان من الطبعي أن تنشأ مشكلات في أُسر هؤلاء التجار الذين هجروا بيوتهم سعيًا للتجارة، واضطرت الأُسر إلى التعامل

مع الصعوبات المالية بسبب غياب المعيل الرئيس (رب الأسرة في الغالب)[٨]. والرحلات قديمًا كانت محفوفة بالعديد من المخاطر، إضافة إلى صعوبة التواصل مما خلق قضايا مثل عدم اليقين المستمر من حالة المسافر والقلق على الأب والزوج. وإضافة إلى هذه القضايا الحياتية ظهرت أيضًا قضايا دينية عديدة تتعلق بالتزامات الزوج تجاه زوجته وأطفاله وفقًا للشريعة اليهودية، وفي مقدمة هذه القضايا تأتي قضية الزوجة التي اختفى عنها زوجها، دون أن يعلم أحد ما إذا كان حيًّا أو ميتًا، الأمر الذي ألقى بظلال من القتامة على وضع المرأة المهجورة التي غاب عنها زوجها التي تعرف بالمقيّدة "עֲגוּנָה"[٩] وغالبًا تكون المرأة التي سافر زوجها للتجارة. وما دام الزوج لم يعد إلى المنزل ولا يمكن التيقن بصورة واضحة على وفاته، فتظل زوجة هذا المسافر الغائب في حالة شرعية "עֲגוּנָה" أي لا يُسمحُ لها بالزواج من آخر ولا يتم تقسيم أموال زوجها إلى ميراث وفقًا للشريعة اليهودية[١٠].

ومن الفِقْرات في الكتاب التي تناولت المشكلات الناتجة عن غياب اليهودي عن بيته واشتغاله بالتجارة قول الكَاتِب:

"איש אחד היתה לו אשה שלא היתה הגונה חשודה על הזנות והיה יודע הבעל... אמר לחכם מה אעשה שחשודה על הזנות ... ואיני יכול להיות בלא אשה ורציתי לתת לה גט... ואני צועק לקהל ואינו מועיל לי ואינם מאמינים לי ואין משגיחין בדבר אמר לך לארץ מרחקים מאד ושלח לה גט ותקח לה שם אשה ותאמר לחכמי אותה העיר כל העניין כדי שלא יאמרו אם יש לך אשה אחרת אסור אתה ליקח אשה בכאן כדר' אליעזר בן יעקב ואם היא תקבל הגט טוב ואם לאו הרי אינך חוטא כיון שאתה יודע שהיא רעה בזנות או בנידות ואם תקבל גט תשלח לה דין כתובה" [١١].

"كان لرجل ما زوجة لم تكن مستقيمة بل مشتبه في ارتكابها الزنا وكان الزوج يعلم بذلك، فقال للحاخام، ماذا أفعل حيال هذه المتهمة بالزنا،... ولا أستطيع أن أظل هكذا دون زوجة، وأريد أن أعطيها وثيقة الطلاق،... وأنا أصرخ في الجماعة [مطالبًا بإيجاد حل] ولا أجد منهم نفعًا ولا يصدقونني ولا يهتمون بما

أقوله، فقال له الحكيم: اذهب لبلاد بعيدة وأرسل لها وثيقة الطلاق ولتأخذ لك من هناك امرأة [تتزوج]، وتقول لحاخامات تلك المدينة قضيتك تلك حتى لا يقولوا: إذا كانت لك زوجة أخرى فيحرم عليك أن تتزوج هنا كما قال "رابي إِلِيعِيزِر بِنْ يَعْقُوفْ" إذا حصلت على وثيقة الطلاق فهذا حسن وإن لم تحصل فليس عليك إثم لأنك تعلم أنها امرأة سيئة ترتكب الزنا، ولا تحذر في أثناء الحيض وإذا حصَلَتْ على وثيقة الطلاق فأرسل لها [حقها المسجل في وثيقة] عقد الزواج [كِتُوبَاه].

الفِقْرَة توضح عدة أمور تخص حياة الأسرة اليهودية من حيث اتهام الرجل زوجته بالزنا، أو الشك في سلوكها، والحكم الشرعي المترتب على ذلك، وحكم المرأة التي لا تحذر في زمن الحيض، ونظرة اليهود الأشكناز للمرأة في هذه الحِقْبَة، والحكم في جمع الرجل بين زوجتين حال كونه مسافرًا(١٢)، وغير ذلك مما يترتب على سفر الرجل بعيدًا عن أسرته إلى بلاد بعيدة والمكوث فيها مدة من الزمن. والذي يهم هنا هو نظرة الكَاتِب لهذا الزوج الذي يسافر إلى أماكن بعيدة، حيث يراه الكاتب سببًا في فساد أو انحلال أسرته لغيابه عن زوجته مدة طويلة من الزمن، لذا يعرض الكاتب نتائج سفر اليهودي، ويوضح أن سفر اليهودي لمدة زمنية طويلة سيترتب عليه الكثير من المشكلات التي ستنتهي أحيانًا بالطلاق، وما يترتب عليه من إعطاء المرأة حقوقها المنصوص عليها في عقد الزواج כְּתֻבָּה (كِتُوبَاه)، وإثبات ذلك حتى يستطيع الزواج مرة أخرى.

والفِقْرَة توضح أيضًا مدى سطْوة السلطة الحاخامية على الجماعات اليَهوديَّة في التجمعات اليهودية في (שו"ת)(١٣)، وتشدد حاخامات أشكناز في أعطاء الزوج وثيقة طلاق حتى يتمكن من الزواج ثانية أو إعفائه من المسئولية المنصوص عليها في عقد الزواج، لذلك نصحه الحاخام في الفِقْرَة أن يذهب بعيدًا خارج سيطرة حاخامات(שו"ת) حتى يتمكن من بدء حياة جديدة مع زوجة جديدة هناك(١٤).

يلاحظ أن الكاتب يؤكد وجهة نظره فيما يخص المشكلات التي ترتب عن سفر الزوج، واضطراره فيما بعد للزواج من أخرى(١٥) لخيانة الأولى، كما يقول الكاتب من خلال اعتماده على التضمين غير المباشر من التلمود: "כדר' אליעזר בן יעקב"، حيث أشار إلى ما ذكره "رابي إِلِيعِيزِر بِنْ يَعْقُوفْ"(١٦) من رفضه لزواج اليهودي باثنتين في مكانين متباعدين، لما يترتب على

ذلك من اختلاط الأنساب ووجود أبناء غير شرعيين، حيث ورد في التلمود عن "رابي إِلِيعِيزِر": "ר' אליעזר בן יעקב אומר לא ישא אדם אישה במדינה זו וילך וישא אישה במדינה אחרת שמא יזדווגו זה אצל זה ונמצא אח נושא אחותו (ואב נושא בתו) וממלא כל העולם כולו ממזרות"[١٧]. "يقول الحاخام إِلِيعِيزِر بِنْ يَعْقُوفْ أنه لا ينبغي لأي رجل أن يتزوج امرأة في بلد ما، ويذهب إلى بلد آخر ويتزوج هناك من امرأة خوفًا من أن يتزاوج [النسل] أحدهما بالآخر ويوجد [فيما بعد] أخ متزوج أخته (وأب متزوج ابنته) ويمتلأ العالم كله ببنات غير شرعيات". وهكذا يعتمد الكاتب على التضمين غير المباشر من المِقْرا ليؤكد ما يذهب إليه من المشكلات المترتبة على سفر اليهودي لبلاد بعيدة.

وقد يؤدي سفر الزوج لمسافات بعيدة إلى أضرار أُسرية شديدة وحول هذا يقول الكاتب:

> "מי שבא ממדינת הים ובאתה אשה לשאל על בעלה או בנים על אבותם וזה יודע שמת הבעל או יודע שאב ואם מתו והאשה בחורה והבנים אין להם במה להתפרנס אלא אם כן ימכרו בניכסי אביהם ..."[١٨].
>
> "من وَفَدَ من بلاد ما وراء البحار، وأتت زوجة تسأل عن زوجها أو أتى الأبنَاء يسألون عن آبائهم، وهناك من يعلم أن الزوج مات أو يعرف أن الأب والأم مَاتا، وكانت الزوجة ما زالت شابة وليس للأبناء ما يعيشون به فلهم أن يبيعوا ممتلكات والدهم..."

يرسم الكاتب في هذه الفِقْرَة صورة حية من صور الحياة اليهودية في العصور الوسطى، وممارسة اليهود للتجارة، ويوضح الكاتب عودة رحلة من بلاد بعيدة وصفها بأنها من وراء البحار "ממדינת הים"[١٩]، وتسابق الجميع لمعرفة أحوال العائدين من بعيد، ويظهر ذاك المشهد الذي يبدو فيه موت أحد اليهود التجار، وقد ترك وراءه زوجة في ريعان الشباب، ويفترض الكاتب صورة لأسرة تركها عَائِلها وليس لديها ما يعيشون منه سوى أن يبيعوا ما ترك لهم الوالد قبل سفره، وأكد الكَاتِب على هذا المعنى بقوله: "אלא אם כן ימכרו בניכסי אביהם" "ولم يكن أمامهم سوى أن يبيعوا ممتلكات والدهم" ليعطي معنى كبيرًا لفقد الوالد بسبب خروجه للسفر وترك أسرته دون عائل وهو ما قد يضطرهم إلى بيع ما لديهم حتى يستطيعوا العيش، وهذا ليؤكد

منطقه في منع اليهودي من السَّفر لمسافات بعيدة، لأن الخسارة التي قد تجنيها الأسرة اليهودية قد تكون عظيمة وستؤدي إلى عواقب جمة على مستقبل أفراد الأسرة .

أسباب رفض الكاتب لسفر اليهودي بعيدًا عن بيته لمدة زمنية طويلة

تعبر عشرات الفِقْرات في الكتاب بشكل واضح عن رفض "رابي يهودا هاحسيد" لسفر عائل الأسرة لمسافات طويلة، بما في ذلك السَّفر لأغراض كسب العيش. ويمكن تقسيم رفض الكَاتِب السَّفر إلى ثلاثة أسباب رئيسة، **أولًا: الخطر الجسدي الذي ينطوي عليه السَّفر**، والذي يمكن أن يؤدي بالتبعية إلى أضرار اقتصادية أخرى تقع على كاهل الجماعة اليهودية التي ستتولى إعالة الأسرة إذا حدث مكروه للزوج أو مات. **ثانيًا: عدم تمكن المسافر من حفظ وتنفيذ الوصايا اليهودية** بسبب صعوبة تحديد وقت الوصول إلى المكان المستهدف وما يترتب عليه من الوقوع في محظورات السبت. **ثالثًا: الضرر الذي سيلحق بالأسرة اليهودية في حالة غياب الزوج**.

أولًا: الخطر الجسدي الذي ينطوي عليه السَّفر

فيما يخص السبب الأول وهو الخطر الجسدي الذي يكمن في الطريق، فقد أوضح الكاتب في عدة فقرات عن مخاوفه من السَّفر، وخصوصًا السَّفر في طرق غير مأمونة، وما ينطوي عليه الطريق من مخاطر منها الموت أو الوقوع في أيدي قطاع الطرق واللصوص، وهذا أدعى للعدول عن السَّفر لأن المخاطرة آنذاك كانت كبيرة. يقول الكَاتِب:

"מי שהולך למרחוק ללמוד והדרך מסוכן כי יש ליסטין הרבה בדרכים וגוזלין וחומסין והורגין וחומסין ותופסין אותו ומייסרין אותו עד שיפדוהו הקהילות... ואם יתפשוהו שמא יעשו לו יסורין שאינו יכול לסבול וימסור עצמו להשתמד או יגרום שיפדוהו הקהילות הרי מעלה עליו כאלו גורם רעה לעצמו ולאחרים"(٢٠)

"من يسافر مسافة بعيدة للتعلم والطريق خطير، فالطرق بها الكثير من اللصوص الذين يسلبون وينهبون ويقتلون، وقد يمسكون به ويعذبونه إلى أن يفتديه أفراد الطائفة... وإذا أمسكوه فسيعذبونه لدرجة أنه لا يستطيع أن يتحمل ذلك إلى أن يُسْلم نفسه للانتحار أو يؤدي ذلك إلى أن يفتديه أفراد الطائفة، ومثل هذا الفعل يسبب له الضرر وللآخرين".

يدعو الكاتب في هذه الفِقْرَة اليهودي أن يتعقل ويتروى، ويحسب لأفعاله حساب، فإذا كانت ستوقع الضرر عليه وعلى أفراد "الطائفة" فعليه أن يعدل عن ذلك، والكاتب يرى أن الأمور بخواتيمها لا بالتعجل في الخروج إلى السَّفر لأماكن بعيدة دون أن يحسب مخاطر الطريق، وما قد يلاقيه من لصوص قد يأسرونه، ويلاقي من التعذيب على أيدي اللصوص وقطَّاع الطرق من المسيحيين الذي أشار إليهم الكَاتِب في بداية الفِقْرَة "לִסְטִים"[٢١]، وما يستتبعه ذلك من عدم الصبر على التعذيب الذي قد لا يطيقه فيقتل نفسه (ينتحر)، أو أن يطلب خاطفوه فدية من اليهود، فيجمعون له المال الكثير لكي يفكوا أَسْرِه، وهكذا بدلًا من أن يعود هذا السَّفر عليه بالمنفعة، قد يأتي له بالضرر ولجماعته اليهودية.

ولا شك في أن الكَاتِب قال هذه الكلمات من خلال معالجته لواقع كان موجودًا بالفعل يتطلب منه إبداء رأيه بوصفه زعيما دينيًّا وروحيًّا، وعليه أن يرشد اليهودي للطريق الصحيح الذي يحفظه ويحفظ الجماعة اليهودية، والكاتب يؤكد رفضه للسفر بِنَاءً على مخاطر غير محسوبة، وقت اتخاذ القرار في بداية الأمر.

ويؤكد الكَاتِب هذا المعنى لكن من خلال قصة أخرى ليهودي فقير، ضاقَ ذرعًا بحاله، وأراد أن يحقق ربحًا سريعًا وكبيرًا، فأراد أن يقوم بمغامرة لتحسين وضعه المادي دون إدراك عواقب ذلك، رافضًا في البداية مساعدة الجماعة اليهودية التي عرضت مساعدته بأن يأخذ شيئًا من صندوق أموال الصدقات. يقول الكَاتِب:

"טוב אחרית דבר מראשיתו ... אדם אחד היה עני והיו הצבור רוצים לתת לו מכיס של צדקה ולא רצה לקבל אמר אטרח מעיר לעיר בסחורה ולא אצטרך אמר החכם אם הדרך משובש אם תלך הרי יתפשוך וצריכים הצבור לפדותך ולא חשש והלך ונתפש ופדאוהו אמר החכם הרי בכמה שנים היה לך דיי פרנסה במה שפדאוך ועתה צריך אתה שיפרנסוך וגם נתנו לפדיונך לכך טוב אחרית דבר מראשיתו אם מראשיתו טוב אז תהיה אחריתו טוב... "[٢٢]

"نِهَايَةُ أَمْرٍ خَيْرٌ مِنْ بَدَايَتِهِ... كان هناك شخص فقير وكانت الجماعة اليهودية تريد أن تعطيه من أموال صندوق الصدقات، لكنه رفض أن يقبل بذلك وقال: سأتكبد عناء السَّفر من مدينة إلى أخرى للتجارة، ولا أمد يدي [لأموال صندوق الصدقات]. فقال

الحاخام: إذا كان هذا الطريق محفوفًا بالمخاطر فإذا ذهبت فيه فقد يمسكون بك وتضطر الجماعة إلى أن يَفْدُوك [يفكوا أَسْرِكَ]، لكنه [اليهودي الفقير] لم يأْبَه وذهب [في الطريق الخطرة] وأُحيط به، وَفَدْتْهُ جماعته. وقال الحاخام له أيضًا: لسنوات كان لديك ما يكفي من كسب العيش كمقدار ما فدوك به، والآن تحتاج إلى أن يساعدوك على التكسب [مرة أخرى] بالإضافة إلى ما دفعوه [من أموال الصدقات] ليفدوك به. لذلك قيل: نِهَايَةُ أَمْرٍ خَيْرٌ مِنْ بَدَايَتِهِ، فإذا كان بَدَايَتِهِ خير فستكون كذلك نهايته خيرًا...".

الفِقْرَة تؤكد على رفض الكاتب لهذا السلوك الذي ينطوي على مخاطرة الفرد اليهودي بنفسه وإلحاق الضرر بالجماعة كلها. حيث يرفض اليهودي أن يأخذ من أموال صندوق الصدقات شيئًا ويقرر أن يرحل متنقلًا من مدينة إلى أخرى حاملًا معه السلع للتجارة بين غير اليهود(٢٣) ليحقق الثراء، لكن الكَاتِب يوضح كيف أن هذا الشخص لم يدرك عواقب فعلته، لأن الثمن الذي قدمته الجماعة اليهودية في النهاية لهذا اليهودي لفك أسره كان كبيرًا، وكان من صندوق أموال الصدقة التي يحتاجونها بالفعل لغيره من اليهود الفقراء، والتي رفضها هو نفسه في البداية. وهنا يؤكد الكَاتِب أيضًا على أهمية القيادة الدينية وواجبها نحو تصحيح السلوك اليهودي حتى لا يقع الضرر على الجميع.

وقد استعان الكاتب كما يفعل كثيرًا في بعض الفِقْرات بالتضمين المقرائي وتوظيفه داخل الفِقْرَة ليُقر الحكم الذي يسعى لتمريره، فقد اعتمد على التضمين المقرائي الحرفي في بداية الفِقْرَة: "טוֹב אַחֲרִית דָּבָר מֵרֵאשִׁיתוֹ" "نِهَايَةُ أَمْرٍ خَيْرٌ مِنْ بَدَايَتِهِ" [سفر الجامعة: ٨/٧]. ثم عاد الكاتب لاستعمال التضمين نفسه ثانية قبيل نهاية الفِقْرَة، وهذا التضمين أكد المعنى الذي قصده الكاتب من فقرته.

وهكذا يوضح الكاتب كيف أن سفر اليهودي وبخاصة في طرق غير آمنة يعرض الجماعة اليهودية كلها للخطر والضرر. وأن أخذ الأموال –ولو كانت قليلة– من صندوق الصدقة يكون أفضل من المخاطرة. فاليهودي الذي خاطر بالسَّفر دون التروي والبحث في مآل قراره أضرَّ بالجميع، حيث استقطع اليهود من أموال الصدقة لكي يفدونه، ثم عادوا ثانية يعطونه منها. وهكذا يتضح أن الكاتب لم يكن ينظر إلى قضية السَّفر على أنها تعبر عن مشكلة خاصة فقط؛

بل ضرر محتمل للجماعة بأسرها، وبالتالي فإن مسؤولية منع تكرار سفر اليهود بعيدًا تقع أيضًا على عاتق الجماعة اليهودية وقادتها[٢٤].

ويعارض "رابي يهودا" السَّفر حتى ولو أدى ذلك إلى تعارض مع نصوص دينية صريحة. ومن تلك الفِقْرات التي توضح رفضه السَّفر إلى أماكن بعيدة خصوصًا إذا كان السَّفر محفوف بالمخاطر تلك الفِقْرَة التي يقول فيها:

"אחד גזל על רמאות שעשה אחר שחשב לו טעות ואותו הלך למדינת הים למרחוק וזה שרימהו נתחרט ורצה להשיב את הגזילה ולא יכול כי הלך לו ושאל לחכם אמר הרי אמרו יוליך אחריו אפילו למדי וזה רחוק מה אעשה אמר לו אותו החכם כבר הוא באותו מקום רחוק שלא תוכל לבא אחריו ואין לך מה להוציא בדרך זו ועוד הליסטים יגזלו ממך"[٢٥].

"سلب شخص ما غيره عن طريق الغش، وسافر الشخص المسْلوب إلى بلاد [بعيدة] فيما وراء البحار، ثم ندم الشخص الذي غش صاحبه، وأراد أن يرد إلى صاحبه ما سلبه منه، ولا يستطيع لأنه وصل إلى وجهته بعيدًا، ثم سأل حاخامًا [ماذا يصنع] وقد قالوا [يقصد علماء المشنا]: "ليتتبعه إلى أبعد مدى ممكن" وهذا بعيد. ماذا أفعل؟ فأجابه الحاخام نفسه قائلًا: لأنه يوجد في مكان بعيد ولا تستطيع أن تصل إليه، وليس لديك ما تنفقه خلال الرحلة، وقد يسرقك اللصوص".

يلاحظ في هذه الفِقْرَة أن الكاتب يعارض السَّفر المحفوف بالمخاطر حتى ولو أدى ذلك إلى مخالفة المِشنا التي أكدت على ضرورة توبة السارق[٢٦] بإعادة المسروق. فقد جاء في المشنا: "הַגּוֹזֵל אֶת חֲבֵרוֹ שְׁוָה פְּרוּטָה, וְנִשְׁבַּע לוֹ, יוֹלִיכֶנּוּ אַחֲרָיו אֲפִלּוּ לְמָדַי. לֹא יִתֵּן לֹא לִבְנוֹ וְלֹא לִשְׁלוּחוֹ; אֲבָל נוֹתֵן לִשְׁלִיחַ בֵּית דִּין. וְאִם מֵת, יַחֲזִיר לְיוֹרְשָׁיו"[٢٧] "من يَسْلب صَاحِبَه ما يعادل "بروطا"[٢٨] ثم يحلف له (كذبًا) فإنه يجب عليه أن (يعوضه) ويتتبعه حتى وإن (كان صاحبه قد رحل بعيدًا) إلى "نهاية العالم". ولا (يجوز) أن يعطى (التعويض) لابنه أو لوكيله، وإنما يعطيه لوكيل المحكمة، وإذا مات (المسْلوب) فإنه يرد (التعويض) لورثته"[٢٩].

ومع وجود هذا النص الذي اعتمد عليه الكاتب من خلال التضمين الذي أتى به في الفِقْرَة: "יוליך אחריו אפילו למדי" "يجب عليه أن يعوضه ويتتبعه حتى وإن كان في نهاية العالم" فهو يصرح بجواز مخالفته لتيقن الضرر الذي سيقع لو غامر اليهودي بالسَّفر وراء صاحب المال، ويقترح "رابي يهودا" أن يبحث التائب عن أهل "المِسْلُوب" ليرد إليهم المال، أو يتصدق بالمال، وإن أصر على إعادة المال لصاحبه فعليه أن يرسل في أعقاب صاحب المال رسولًا أمينًا ليعطيه حقه، لكِنْ لا يسافر اليهودي ويعرِّض حياته للخطر. "وهكذا يقترح الكاتب حلًا في النطاق المحلي للشخص اليهودي التائب دون أن يعرض لنفسه لمخاطر السَّفر"(٣٠).

وتُعَدُّ أعمال السطو والعنف والقتل في الطرق والرحلات من الأحداث المعروفة في العصور الوسطى، وبخاصةٍ في المناطق التي لم تكن خاضعة لسيطرة الدولة، وقد تعَرّض الكَاتِب لهذه الأحداث من حيث الأضرار الجسدية التي قد تلحق باليهودي جراء الخروج للسفر بعيدًا عن جماعته. ومن هذه الفِقْرات التي تناولت هذه القضية تلك الفِقْرَة التي تقول:

"הרי יהודים שהיו בדרך ופגעו בהם ליסטים ועמדו על היהודים והיהודים הרגום ויש שם גוים ויראים שמא יגידו לבניהם ולקרוביהם וינקמו מהם לפיכך יהרגו היהודים אף אותם אע"פ שיאמרו הגוים לא נגיד אין להאמין לגוים שנאמר אשר פיהם דיבר שוא וכן מצינו בדוד לא יחיה איש ואשה פן יגידו לפלשתים" (٣١)

"وإذا اعتدى قطاع الطرق [اللصوص] على اليهود في أثناء سفرهم فتمكن منهم اليهود وقتلوهم، وكان هناك أغيار [شهودًا على ما حدث] وتخوف اليهود من أن هؤلاء [الأغيار] قد يخبرون أبناءهم وأقاربهم فينتقمون منهم [من اليهود] فلليهود أن يقتلوا هؤلاء [الشهود] أيضًا، ولو قال الأغيار: لن نخبر أحدًا، فلا نصدق الأغيار، لأنه قيل: الَّذِينَ تَكَلَّمَتْ أَفْوَاهُهُمْ بِالْبَاطِلِ، وهكذا ورد [في قصة] داود: فَلَمْ يَسْتَبْقِ دَاوُدُ رَجُلًا وَلاَ امْرَأَةً لِئَلاَّ يُخْبِرُوا الْفِلِسْطِينِيِّينَ".

يوضح الكَاتِب في هذه الفِقْرَة جانبًا آخرًا للسفر وهو تعرض المسافر لقُطَّاعِ الطُّرق، وبدلًا من أن يصيب اليهودي مغنمًا من رحلته للتجارة يقع في قبضة اللصوص وقطاع الطرق ويخسر بدلًا من أن يربح؛ حيث لم يكن في أماكن كثيرة سُلْطة حاكمة وكان قطاع الطرق

واللصوص هم من يسيطرون على طرق كثيرة للتجارة، وهذا أحد الوجوه التي بسببها يرفض الكاتب السَّفر.

وقد استعان الكاتب بالتضمين المقرائي المباشر: "אֲשֶׁר פִּיהֶם דִּבֶּר שָׁוְא" "الَّذِينَ تَكَلَّمَتْ أَفْوَاهُهُمْ بِالْبَاطِلِ" [سفر المزامير: ١٤٤/ ٨]، و "וְאִישׁ וְאִשָּׁה לֹא יְחַיֶּה" "فَلَمْ يَسْتَبْقِ دَاوُدُ رَجُلًا وَلاَ امْرَأَةً" [سفر صموئيل: الأول ٢٧/ ١١]. ليؤكد ما ذهب إليه فيما يخص قتْل من قد يمثلون تهديدًا لليهود. وبهذا يوضح الكاتب من خلال هذه النهاية الدرامية كيف يمكن أن تنقلب الأوضاع رأسًا على عقب بسبب مغامرة اليهودي وسفره بعيدًا، ويضطر إلى القتل، ليس المعتدين فقط (أي اللصوص وقطاع الطرق)؛ بل من يمكن أن يشي باليهود فيما بعد، وهؤلاء الأغيار لا يثق فيهم الكاتب ويدعو لقتلهم أيضًا.

ثانيًا: الإضرار بتنفيذ الوصايا اليهودية

من الأسباب المهَّمة التي عارض "رابي يهودا" بسببها سفر اليهودي للتجارة صعوبة تمكن اليهودي من تنفيذ الوصايا في الطريق، وبخاصة الوصايا المتعلقة بالسبت. ومن الفِقْرات التي يؤكد فيها الكَاتِب رفضه للسفر بعيدًا من أجل المال وخوفه من أن يدنس اليهودي وصايا السبت قوله:

"לעולם יעסוק אדם במלאכה שאין בה עון ויחשוב מתחילה אם איפשר להיות בלא עון... כגון מי שעסקו לילך למרקחים עם סחורתו פעמים שלא יגיע לעיר בערב שבת מבעוד יום ולא יוסיף מחול על הקדש ולא ידור האדם בעיר של גוים שבשבת יום השוק לפי שבאים לעיר מקצת בערב שבת והוא אינו יכול לעשות בשבת משא ומתן ולא יקבל שבת בעתו מפני טירודו ועוד ידאג פן יעברו מהעיר בשבת ויעצב וידבר בשבת עמהן ... אל יעסוק במלאכה שאין לו יכולת לקבוע עתים לתורה ואם יכול אדם להתפרנס במקום קרוב והולך במקום רחוק למקום סכנת נפשות אסור "[٣٢]

"أبدًا لا يشتغل الشخص في حِرْفَة لا يوجد فيها إثم، وليفكر [الشخص] منذ البداية إذا كان من الممكن أن تكون [حِرْفَته] دون إثم ... مثل الذي يعمل في التجارة ويسافر لمسافات بعيدة، فأحيانا لا يستطيع أن يأتي إلى المدينة قبل غروب شمس يوم السبت [نهارًا]، ولا يستطيع كذلك أن يضيف وقتا آخر لزمن دخول السبت. ولا يسكن

الشخص في مدينة للأغيار يكون يوم السبت لديهم سوقًا؛ حيثُ إنَّهُ من الممكن أن يأتي المدينة بوقت قصير ليلة السبت، فلا يمكنه حينذاك القيام بأعمال التجارة، ولا يستطيع أن يستقبل السبت في ميعاده لانشغاله [بأمور تجارته]. وعلى اليهودي أن يهتم أيضًا إذا ما كان سيغادر [مع التجار الآخرين] من المدينة في السبت، أو سيضطر إلى الحديث وترتيب شئونه يوم السبت مع رفقائه... وعليه فلا يجوز الانشغال بمهنة لا يمكن معها تحديد أوقات [لتعلم] التوراة. وإذا استطاع الشخص أن يتكَسَّبَ في مكانٍ قريب فيحرم عليه أن يذهب لمكان بعيد، وأن يعرِّض نفسه فيه للخطر.

كما توضح الفِقْرَة فإن "رابي يهود" يعارض سفر اليهودي بعيدًا عن جماعته، ويبرر معارضته تلك بأن السَّفر بعيدًا قد لا يُمَكِّن اليهودي من الحفاظ على وصايا وأحكام السبت(٣٣)، وبخاصة في الطريق في أثناء السَّفر، وهذا منطقي من الناحية العمليَّة، فالمسافر في تلك الحِقْبَة الزمنية لا يستطيع أن يحدد ميعاد وصوله إلى وجهته بشكل دقيق؛ وأحيانا قد تستغرق السَّفر لمسافات طويلة شهورًا قد لا يستطيع معها أن يحدد بدقة اليوم، ومن ثم فإنه يضطر إلى مخالفة الوصايا المتعلقة بالسبت أو تدنيس السبت(٣٤) مثل حمل الأحمال التي ترافق المسافر والخروج للطريق وإشعال النار والإبحار وذبح الماشية والدواجن وغير ذلك الكثير مما يحرم على اليهودي فعله يوم السبت. فالكَاتِب يرى أنه من الضروري أن يهتم اليهودي بحساب الزمن الذي تستغرقه الرحلة بحيث يصل يوم الجمعة (نهارًا)، لكي يُعِدُّ نفسه لاستقبال السبت كما ينبغي، ويمكنه من تنفيذ وصايا السبت، ومنها الوصية التي ذكرها الكاتب: "ולא יוסיף מחול על הקדש"(٣٥) حيث كان اليهود الأشكناز يحرصون عليها جدًا. وبناء على هذه المعطيات العملية والواقعية يقول الكَاتِب: إنه على اليهودي أن يجتهد في اختيار المهنة أو الحرفة التي يعمل بها والتي تمكنه من الحفاظ على الوصايا اليهودية وألا يسافر في رحلات بعيدة، وأن يفكر كثيرًا قبل القدوم على مغامرة كهذه حتى لا يندم فيما بعد إذا وقع في المحظور وارتكب أمرًا مُحرمًا معلومًا تحرمه الشريعة، وأنه على اليهودي أن يجتهد في البحث عن حرفة أخرى تمكنه من الحفاظ الوصايا، فمنع اليهودي من السَّفر لمسافات بعيدة واختيار مهنة مناسبة له بجانب أسرته مقدم على السَّفر بعيدًا وانتهاك حرمات السبت والوصايا اليهودية الأخرى.

ويحذر الكاتب اليهودي المسافر بألا ينزل اليهودي في مدينة للأغيار يكون يوم السبت عندهم سوقًا، وهنا قد يضطر اليهودي إلى مخالفة وصايا السبت نظرًا لطبيعة هذا اليوم في مدينة يسكنها الأغيار، حيث يتخذون من يوم السبت سوقًا رئيسة لهم، وبالتالي فهذا الأمر يضطر اليهودي بالضرورة إلى البيع والشراء كعادة المدينة فيقَّع في ارتكاب المحرم.

ومع هذا يبدو أن الكَاتِب يدرك أن اليهودي غالبًا ليس لديه خيار سوى انتهاك حرمة السبت عند السَّفر أو السير لمسافات بعيدة، لذا يقدم النصيحة في فقرة أخرى بالقول: "

"כל מי שיכול להתפרנס במקום קרוב אל ילך לארץ רחוקה כי רוב הולכי דרכים אין מקבלים שבת בעונתם וגם עונג שבת בראשית דרכך תראה אם תבא בעוד יום למלון ולתקן סעודה וכל צרכי שבת קודם שקיעת החמה"[٣٦]

"لا يسافر لبلاد بعيدة كل من يستطيع أن يتكَسَّبَ في مكان قريب، لأن هؤلاء الذين يسافرون لَا يَسْتَطِيعُونَ أن يستقبلوا السبت مع دخول وقته، ولا يسْعَدون، وعليك أن تنظر في البداية إلى طريقك، ولتحرص أن تصل نهارًا إلى النُّزُل لتجهز وجبة [السبت] وكل ما تحتاج [للاحتفال] بالسبت قبل غروب الشمس [دخول السبت]".

هكذا يحذر الكاتب اليهودي الذي اضطرته الأحوال للخروج بعيدًا، أو السَّفر قاصدًا التجارة أن ينظر أولًا متى سيصل إلى هدفه، وأن يضع في حسبانه أن يصل إلى وجهته نهارًا إذا وافق هذا اليوم عشية السبت حتى يتمكن من الاستعداد لاستقبال السبت كما يليق به من قداسة، وأن يحضِّر وجبة السبت وما يتطلبه الاحتفال بهذا اليوم.

أحيانًا تضطر أخطار السَّفر الشخص على ارتكاب معاصي ومخالفات لم يكن ليواجهها لو لم يخرج إلى السَّفر. وفي بعض الفِقْرات كشف الكاتب عن صورة من صور الحياة اليومية لليهود في العصور الوسطى حينما تحايلوا على الأوضاع المعاصرة بارتكاب محظورات تحرمها اليهودية[٣٧]. من ذلك إخفاء هويتهم اليهودية، حيث تنكر اليهود في ملابس الكهنة أو الراهبات للفرار من مصيبة ما أو السَّفر بسلام في طريق قد يتعرض فيه اليهود للاضطهاد من قبل المسيحيين.

يقول الكَاتِب:

"מעשה בחסיד אחד שהלך בדרך עם חבורה, אמרו לו תלבוש בגד מקטורן כדי שלא יכירו בך אמר מפני שתפור בשעטנז לא אלבש ותפשוהו והוצרכו לפדותו ואותו צדיק טרח עד שפרע כי אמר אני גרמתי כי מי שצריך לילך בדרך צריך שיכין מלבוש בחוטי קנבוס או במשי שלא יהא שעטנז שיהא לו מזומן כשיצא לדרך"(٣٨).

"حدث أن سافر أحد الحسيديم مع جماعة. فقالوا له: عليك أن تلبس معطفًا، حتى لا يتعرفوا إليْكَ. فقال: لأنه صُنِعَ من شَعَطْنِيز فلن ألْبَسه. وأمسكوا [الأغيار] به، واضطر [اليَهُود] إلى أن يَفْدُوه. وكدَّ اليَهُوديّ الوَرِع حتى وفَّىٰ الدَّيْن [ليخلّصه من الأَسْرِ]، لأنه قال، أنا تسببت في ذلك، لأن من يضطر إلى لسفر في رحلة يجب أن يجهز ثيابًا من خيوط القنب أو الحرير، وليس ثيابًا من شَعَطْنِيز، بحيث يكون الثوب جاهزًا حينما يعتزم الخروج للسفر".

في هذه الفِقْرَة، يوضح الكَاتِب من خلال مثال لواقع عاشه اليَهُود في أثناء الاضطهادات، رفضه لسفر اليهودي الذي قد يضطر إلى مخالفة الوصايا لأن الشريعة اليَهُوديَّة توجب على أتباعها الحفاظ على الوَصَايَا، حتى في الأوقات العصيبة التي قد يتعرضون فيها للارتداد كَرهًا، ومع هذا فالكَاتِب خالف ما جاءت به الشريعة، وأجاز لليَهُوديّ أن يتعدى على هذه الوَصَايَا وأن يلبس الثياب المصنوعة من الصوف والكتان "**שַׁעַטְנֵז**"(٣٩) "شَعَطْنِيز" ، لينقذ نفسه من الموت. لكنه من البداية كان يرفض فكرة السَّفر، لكن من اضطرته الظروف عليه أن يأخذ حذره قدر استطاعته.

وإذا ما نظرنا إلى هذا المثال الذي ساقه "رَابِي يَهُودَا" سنجد أنه أَحَلَّ لليَهُوديّ لِبْسَ ما حرمته الشريعة اليَهُوديَّة (أي الثياب المصنوعة من صوف وكتان معًا)، واستعمل الكَاتِب المصطلح الدال على تحريم الخلط "**שַׁעַטְנֵז**"، فقد وردَ هذا المصطلح المقرائي في سفر التثنية: "**לֹא תִלְבַּשׁ שַׁעַטְנֵז צֶמֶר וּפִשְׁתִּים יַחְדָּו**" "لاَ تَلْبَسْ ثَوْبًا مُخْتَلَطًا صُوفًا وَكَتَّانًا مَعًا". [التثنية ٢٢/ ٩-١١].

ثالثًا: الضرر الذي سيلحق بالأسرة اليهودية بسبب السَّفر

قد يؤدي السَّفر إلى أضرار أخرى خلافًا للأضرار الجسدية والروحية، فغياب الزوج عن بيته فترة طويلة يمكن أن يسبب ضررًا كبيرًا للزوجة من الناحية الجنسية، وبخاصة إذا طالت مدة سفر

الزوج لسنوات، وهذا واقع خَبِره "رابي يهودا" وأدرك جيدًا أن سفر الزوج بعيدًا عن أسرته وزوجته يؤدي إلى التفكك الأسري إذا ضعفت الزوجة أمام حاجتها الجنسية ووقعت في جريمة الزنا. وهذا ما عبر عنه الكاتب في إحدى القصص المشهورة داخل الكاتب، وهي قصة "المُعْتَرِفِين الثلاثة"؛ حيث يقول فيها:

"אני אהבתי אשה אחת והיא אשת איש, ועזה לי כמות אהבה, והלכתי עמה והבעל הלך לארץ מרחק וגם אוהבת אותי ביותר, ואחבקנה ואנשקנה, ואמשש כל גופה ולא בעלתי, ... והיה לבי כאש בנעורת וכאש בוערת לבעול... וכן עשיתי ימים ושנים והיה בידי לעשות עמה כל רצוני, כי היינו שנינו דרים בבית והבעל הלך לארץ מרחקים ולא היה מוחה בידי כל מה שחפצתי, ואפילו לבעול "(٤٠).

"أحببت امرأة هي زوجة أحدهم. كانت أحبَّ النَّاس إليَّ، وذهبتُ إليها وقد سافرَ زوجها إلى بلدٍ بعيدٍ. كما أنها أحببتني كثيرًا، فاحتضنتها وقبلتها، وداعبت جسدها كله [ففَعَلتُ بها كلَّ شيءٍ]، غيرَ أنِّي لم أُجامِعْها... وكان قلبي يشتَعلُ مثل النار الموقدة في اشتياق إلى مجامعتها... وهكذا فعلتُ أيامًا وسنواتٍ، وكان بإمكاني أن أفعل معها كل ما أريدُ، لأننا نعيش نحن الاثنان في المنزل، وسافر زوجها إلى بلادٍ بعيدة، ولم يكن أحد ليمنعني عن فعلِ ما أريدُ بها، حتى مجامعتها".

في هذا الجزء من القصة الطويلة يظهر إدراك الكاتب لهذا الجانب النفسي لدى المرأة، فأحيانًا طول زمن السَّفر يسبب لها ضررًا مؤكدًا قد لا تستطيع معه أن تقاوم الفتن وتقع في الزنا، وبخاصة إذا كانت تقيم في بيت عائلة كبيرة، فتقع في الزنا في ظل غياب الزوج الذي قد يغيب سنوات، وبالمقابل لم يكن الزوج الذي اعتاد السَّفر يَعلم إذا كانت امرأته صالحة أو خائنة خلال سفره، وتعد هذه النقطة من إحدى الأسباب التي أدت إلى زيادة التوتر بين التجار اليهود وزوجاتهم(٤١).

يقول الكاتب في إحدى الفِقْرات التي صورت واقعًا أليمًا لسفر الزوج، وتعد من الفِقْرات التي دار حول بحث كبير حول مدى مصداقيتها، وتجسيدها للواقع آنذاك:

"מעשה בבן אחד שכיבד אביו ביותר... לאחר פטירת אביו הלך לו למדינת הים והניח אשתו מעוברת והוא לא ידע, ועיכב בדרך ימים ושנים, וכשחזר בעיר בא בלילה ועלה על חדר שאשתו שוכבת שם ושמע קולו של בחור שהיה נושק אותה, שלף חרבו ורצה להרוג שניהם, ... שמע שאמרה לאותו בחור בנה שאצלה כבר יש שנים רבות שהלך אביך ממני אילו היה יודע שנולד לו בן וכבר הגיע להשיא לך אשה..."(٤٢)

"يحكى أن ابن ما كان يكرم والده ويقدره كثيرًا،... وعندما مات الأب ذهب الابن إلى بلدان ما وراء البحار. وكانت زوجة [الابن] حاملًا في ذلك الوقت، لكنه لم يكن يعلم بهذا الأمر، وقضى سنوات طويلة بعيدًا عن المنزل. وعندما عاد إلى مدينته كان ذلك ليلًا، وذهب مباشرة قاصدًا غرفة نوم زوجته. وإذا به يسمع صوت فتى يقبلها. فاسْتَلَّ سيْفَه قَاصدًا أن يَقتلهما، ... ثم سمع زوجته تقول للشاب، ابنها، الذي كان معها في الغرفة: "مرت سنوات عديدة منذ رحيل والدك. آه لو يعلم أن له ولدًا فيعود ويزوجك"... ".

الفِقْرَة كما يتضح تؤكد نظرة الكاتب في منع اليهودي من السَّفر لمسافات بعيدة ولمدة زمنية قد تطال سنوات دون أن يعلم الزوج شيئًا عن أسرته، فربما كبر الأبناء وأصبحوا في سن الزواج، ولا يجدوا من يزوجهم وخصوصًا البنات لأن هذا الأمر من اختصاص الأب ولا يجوز أم يفوض فيه غيره طالما هو على قيد الحياة. ليس هذا فحسب فبعد الزوج عن زوجته قد يوقعها في الزنا، والأصعب كما يصفه الكاتب يكون زنا المحارم كما يتضح من الفِقْرَة التي فيها الكثير من القضايا التي كان يعيشها اليهود في العصور الوسطى.

أحيانًا قد يكون السَّفر أمرًا حتميًّا ولا مفر منه، في هذه الحالة يقول "رابي يهودا" إن اليهودي مطالب بتأجيل سفره، على الأقل إلى أن يتزوج وينجب ويربي أبناءه إلى سن ما حتى لا يترك زوجته وحدها بدون أولاد، كما جاء في فقرة أخرى يقول فيها:

"ואמר לו החכם: אל תוליך את בנך עד שתלד אשתך בן או בת כי המקום רחוק מאד כי לא יתכן לאדם שאין לו בנים ללכת למדינת הים למקום שאין השיירות מצויות מפני שיעכב שם

ואשה אחרת אינו יכול לקחת שם כדר' אליעזר בן יעקב ועוד איך תהיה אשתו עגונה"[٤٣]

"فقال له الحكيم: لا ترسل ابنك [قاصدًا السَّفر] حتى تلد زوجتك ابنًا أو ابنة؛ لأن المكان بعيد جدًا، ولأنه لا يمكن لرجل ليس له أبناء أن يذهب إلى بلاد ما وراء البحار، إلى مكان لا توجد فيه قوافل [منتظمة]، لأنه سيتأخر هناك، ولا يمكنه أن يتزوج بأخرى هناك، كما قال بذلك "رابي إِلِيعِيزِر بِنْ يَعْقُوفْ"، إضافة إلى أنه سيترك خلفه زوجته عَجوناه [معلقة]".

يدعو الكاتب على لسان الرجل الحكيم "החכם" الذي يستعمله كثيرًا ليبعث على لسانه بالرسالة الأخلاقية أو المقصودة إلى التروي في السَّفر إذا كان أمرًا حتميًّا حتى يتزوج اليهودي وتلد زوجته، ويوضح أن السَّفر لبلاد بعيدة سيتتبعه تأخر الزوج هناك؛ لعدم انتظام القوافل، ولن يستطيع أن يتزوج هناك وفقًا لما أفتى به "رابي إِلِيعِيزِر بِنْ يَعْقُوفْ" بعدم زواج اليهودي باثنتين في مكانين متباعدين حتى لا يولد أبناء غير شرعيين كما جاء في التلمود[٤٤]، وهو التضمين غير المباشر الذي أتى به الكاتب ويفهم ضمنيًّا من قوله الفِقْرَة: "כדר' אליעזר בן יעקב".

الخاتمة ونتائج الدراسة:

كانت التجارة هي إحدى المهن التي اشتغل بها اليهود في أوروبا في العصور الوسطى. وكان اليهود يسافرون بعيدًا للتجارة إلى ما وراء البحر، وقد يستغرق سفرهم سنوات طويلة، ولم يعارض الحاخامات السفر؛ بل شجعوه في بعض الأحيان. ومن خلال دراسة الفقرات التي تناولت قضية السفر في كتاب "סֵפֶר חֲסִידִים" يمكن القول: إن مسألة سفر وترحال اليهودي كانت شائعة في العصور الوسطى؛ لكن "ר' יְהוּדָה הֶחָסִיד" كان يرفض بشدة سفر اليهودي وترك محيطه الإقليمي، وأظهرت الفِقْرات أنه يُفضل أن يبقى اليهودي داخل الجماعة اليهودية يعمل في حرفة ملائمة لتنفيذ الوصايا اليهودية حتى ولو كانت تكفيه بالكاد. وحول الأسباب التي دفعته لوجهة نظره المتشددة أظهرت الدراسة أن سفر اليهودي وبخاصة الزوج وغيابه عكس بعض المشكلات التي بنى عليها الكاتب رأيه الرافض للسفر، ويمكن أجمال تلك الأسباب لرفض الكاتب سفر اليهودي من خلال فقرات الكتاب إلى:

- صعوبة إيجاد مصدر دخل لأسرة الزوج المسافر مدة زمنية طويلة، في حالة إذا كانت الأسرة مكونة من زوجة وأبناء صغار، وليس لهم مصدر دخل سوى ما قد يتركه الزوج قبل سفره.

- استدانة الزوجة لإعالة الأسرة في حالة سفر الزوج وعدم تركه مالًا كافيًا لإعالة أسرته زمن سفره، وما يترتب على ذلك من مشكلات إذا طالت مدة غياب الزوج.
- استغلال بعض الأزواج السَّفر ذريعة للهروب من زواج فاشل، فيسافر بعيدًا، حتى يمكنه بدء حياة جديدة، مع زوجة أخرى دون أن يطلق زوجته الأولى التي هجرها، وما يترتب على ذلك من مشكلات تتعلق بالمرأة المعلَّقة "עֲגוּנָה".
- عدم التمكن من الحفاظ على وصايا السبت وتطبيق بعض الفروض والوصايا الخاصة التي تتطلب وجود اليهودي داخل جماعة يهودية.
- عدم قيام الأب بالواجبات الشرعية تجاه أبنائه مثل: الختان، تعليم التوراة، تزويج الأبناء، وهذه الأمور من الواجبات الشرعية المفروضة على الأب بوصفه المسئول عن الأسرة، وغيابه عن أسرته أوجد العديد من المشكلات المرتبطة بهذه الواجبات الشرعية.
- من المسائل المهمة المترتبة على سفر الزوج لمسافات طويلة وجود أطفال "מַמְזֵרִים" "غير شرعيين" من علاقة محرَّمة (زنا)، وبالأخص (زنا المحارم) ولم يكن أب هذا الابن "غير الشرعي" سوى صِهْر المرأة أو زوج أخت الزوجة، وأحيانًا ابن الزوج.
- تفكك النواة الأُسَريَّة اليهوديَّة، في ظل غياب الأب ومعاناة الزوجة من مشاكل مادية ونفسية.

- **هوامش البحث:**

(١) [سورة قريش].

(٢) "ר' יְהוּדָה הֶחָסִיד" "رَابي يَهودا هاحسيد" هو الشخصية المحورية في حركة الحسيدية الأشكنازية؛ تلك الحركة التي قامت بدورٍ فعّال في تشكيل صورة المجتمع الألماني في العصور الوسطى، وأثرَّت أيضا على الجماعات اليَهوديَّة في أوروبا الشرقية في حقبةٍ لاحِقة. لا يوجد الكثير من المعلومات عن حياته، والقليل الذي قيل عن حياته يكتنفه الغموض والأساطير المصاحبة لشخصيته من خلال الموروثات الشعبية. عاشَ في ألمانيا في نهاية القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر. (ينظر: גרוסמן, אברהם: הגירתה של משפחת קלונימוס מאיטליה לגרמניה, בירורים לראשיתו של הישוב היהודי בגרמניה בימי הביניים. ציון מ,ג/ד, תשל"ה, עמ' 161 –162). وقد اشتهر عنه مطالبته تلاميذه باتباعِ نظامٍ قاسيٍ في العبادة، فقد كان يسعى إلى تأسيس مجتمعًا من الحَسِيدِيمْ "الأتقياء"؛ لذا طلب من أتباعه ألا يغيّروا أي كلمة من صيغة الصلاة التي – طبقا لرأيه – تحتوي على معانٍ صوفية عميقة في تركيبها، وفي عدد الكلمات والحروف كما نَظَمَها بنفسه. (ينظر: דן, יוסף: חסידות אשכנז בתולדות המחשבה היהודית, האוניברסיטה הפתוחה, כרך א, תשנ"א, עמ' 136- 138).

وقد حرص "رَابي يَهودا" على عدم إظهار شخصيته في كل ما يكتب، فلم يوقع على أي من كتاباته، ولهذا السبب يصعب تحديد كل مؤلفاته بشكل مؤكد، لكن يتفق الدارسين على كتابته لثلاثة مؤلفات كبيرة وشاملة هي: "סֵפֶר חֲסִידִים" "كتاب الأتقياء"، "ספר הכבוד" "كتاب الجلال" "פֵּרוּשׁ הַתְּפִלּוֹת" "تفسير الصلوات". (ينظر: שמחוני, י' נ': "החסידות האשכנזית בימי הביניים", בתוך: דת וחברה במשנתם של חסידי אשכנז. בעריכת א' מרקוס, מרכז זלמן שזר, הדפסה שנייה, ירושלים, תשמ"ז, עמ' 62).

(٣) ליברלס נוימן, אהובה: מרחב ומרחק בספר חסידים, יחסו של ר' יהודה החסיד אל נסיעות של יהודים באשכנז במאה השתיים-עשרה ובמאה השלוש-עשרה, עבודת מוסמך, החוג להיסטוריה של עם ישראל, האוניברסיטה העברית בירושלים, תשע"ד, עמ' 12.

(٤) דן, יוסף: ר' יהודה החסיד, פרקים מסדרת גדולי הרוח והיצירה בעם היהודי, מרכז זלמן שזר לחקר תולדות העם היהודי, ירושלים, 2006, עמ' 14 –15.

وقد أوجد "סִיפֵּר חַסִידִים" نمطًا جديدًا لم يكن موجودًا بعد في الأدب العبري. فالكتاب لا يعتمد اللغة التلموديَّة أو التشريعية؛ وإن كان يحتوي على بعض الكلمات والمصطلحات بالآرامية ولغة المِشنا، لكن أسلوبه أقربُ كثيرًا للغة الحديث اليومي آنذاك، ويتضمن العديد من القصص بل ويعرضُ أحيانًا حوارات بين الشخصيات. ويهدف كل قسم من أقسام الكتاب إلى تعليم درس خاص ذي صلة بالحياة اليومية. والبنية الأساسية أو الأساس الهيكلي الرئيس للكتاب الذي تم من خلاله صياغة الكتاب هو التقسيم إلى "מַחְבָּרוֹת" "كراسات". وينقسم الكتاب إلى مجموعات من الـ "סִימָנִים" "الفِقْرَات" المترابطة التي تتمحور حول موضوع مشترك، (ينظر: دن, יוסף: חסידות אשכנז בתולדות המחשבה היהודית, עמ' 175). وعلى الرغم من الحرص الشديد على وحدة الموضوع المشترك؛ لكن ذلك ليس مُتبعًا بشكل تام في كل الكتاب. وتتناول الكراسات الأساسية موضوعات مثل: "مسائل الصلاة"، "مسائل دراسة التوراة"، "أحكام الموتى وتشريعات الدفن", "أعمال البر والإحسان", "مسائل تأليف الكتب والحفاظ عليها", "شرائع السبت وتقديسه"مسائل طاعة وبر الوالدين" وغير ذلك من المسائل الحياتية التي تتطلب إجابات عنها في العديد من القضايا، وقد يحتوي الكتاب على كراسة ثانية مخصصة للموضوع نفسه. (ينظر: יוסף דן: ר' יהודה החסיד, עמ' 28).

(٥) ينظر: الفخراني، (دكتور)، فرج قدري: موتيف الارتحال في الأدب الحسيدي – دراسة نقدية في كتاب "قصص الصِّديقين" "סיפורי צדיקים" لميخائيل ليفي برومكين نموذجًا، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ٢٠١٥.، ص ٣-٤.

(٦) كان اليهود منذ بدايتهم يعملون بالزراعة والأعمال المرتبطة بها. وهذه هي الصورة التي ترسمها المقرا، وكذلك المِشنا والتلمود لأوضاع اليهود قديمًا، ورغم الحديث عن وجود بعض التجار وأصحاب الحرف فإن معظم اليهود كان يعيش من العمل في الأرض. ومنذ عام ٧٨٥ ميلاديًّا ترك يهود بابل الزراعة، فلم يعد اليهود يمتلكون الأراضي الزراعية؛ ومع ذلك فحتى القرن الحادي عشر الميلادي كان لا يزال بعض اليهود يعملون بالزراعة. وبعد السبي البابلي تحول العديد من يهود بابل وشمال إفريقيا ومصر، ثم بعد ذلك في الأندلس (إسبانيا) إلى التجارة واندمجوا في الطبقة الوسطى والطبقة العليا من التجار المسلمين، وهي طبقة ازدهرت ونمت في نهاية القرن الثامن، وخاصة في القرن التاسع الميلادي. وهناك العديد من الدلائل حول تحول لليهود إلى التجارة في بعض المصادر، وبخاصة في أدب "الفتاوى" أو"الأسئلة والأجوبة" المعروف بـ(שו"ת)؛ فالعشرات من الأسئلة والأجوبة من القرن التاسع وما بعده تتحدث عن تجارة اليهود سواء في الإطار المحلي أم في إطار دول الخلافة العثمانية. (ينظر: גרוסמן, אברהם: חסידות ומורדות, נשים יהודיות באירופה בימי הביניים, ירושלים, מרכז זלמן שזר לתולדות ישראל, 2001, עמ' 12– 13).

(٧) אהובה ליברלס נוימן: מרחב ומרחק בספר חסידים, עמ' 14– 15.

(٨) كان الموقف من وضع المرأة في المجتمع اليهودي الأشكناز مختلفًا عن موقفه في بلاد الإسلام. فالصورة التي تظهر من "أدب الفتاوى"، سواء من ألمانيا أو فرنسا في بداية القرن الحادي عشر وحتى القرن الثاني عشر الميلاديين، هي أن النساء كن يستطعن أن يغادرن منازلهن دون أي قيود أو خوف، ويقمن بدور مهم في توفير إعالة الأسرة. وكانت هذه

الصورة للمرأة طبيعية ولم تثر أي رفض لا من الحاخامات أو الجمهور، وكان للمرأة دور مهم في إعالة الأسرة، سواء من خلال التجارة أم في الإقراض بالربا، ويعد وضع المرأة هذا شائعًا في حالة غياب الأزواج عن المنزل بسبب الرحلات والسفر إلى مسافات طويلة لأغراض تجارية. (ينظر: אברהם גרוסמן: חסידות ומורדות, עמ' 198).

(٩) "עֲגוּנָה" "عَجُونَاه" أو المرأة المُعلقة، المقصود بها الزوجة اليهودية اختفى عنها زوجها، ولا يعرف ما إذا كان حيًّا أم ميتًّا. فإذا ثبت أن زوجها قد مات فيمكنها الزواج بآخر. ولكن إذا كان حيًّا وتزوجت بآخر ثم ظهر الزوج الأول فساعتها يجب أن تُطلق من زوجيها الأول والثاني. وإذا أنجبت من زوجها الثاني فسيصبح أبناءها "מַמְזֵרִים" غير شرعيين. ينظر موقع "אנציקלופדיה יהודית" الموسوعة اليهودية "דעת" على الإنترنت، مادة (עגונה) على الرابط:

https://www.daat.ac.il/encyclopedia/value.asp?id1=179 (7/9/2020-08:15 am)

وكان سَفرُ الزوج, وغيابه لمدة طويلة عن الزوجة, وصعوبة الاتصال, في الزمن القديم, سبب هذه الحالة التي تكون فيها الزوجة "עֲגוּנָה" معلقة, أو مهجورة, سواء أكان الغياب بإرادة الزوج أم كان بغير إرادته. كما كانت هناك أسباب أخرى تجعل الزوجة معلقة, أو الزوج معلقًا, مثل المرأة التي تمتنع عن تَسَلُّم وثيقة الطلاق, وغير ذلك من الأسباب. للمزيد (ينظر: الإمام، (دكتور) سامي: الفكر العقدي اليهودي، "موسوعة الجيب"، أهم أسس الديانة اليهودية وعناصرها ومقدساتها، ومختصر محتوى أجزاء المشنا الستة، (دون دار نشر وتاريخ)، ص ١٢٨، بتصرف).

(١٠) אהובה ליברלס נוימן: מרחב ומרחק בספר חסידים, עמ' 16.

(١١) ספר חסידים: על פי נוסח כתב יד אשר בפארמא, לר' יהודה החסיד, עם הגהות, תקונים, באורים ומראה מקומות מאת יהודה הכהן וויסטינעצקי, ברלין, 1891, סימן (תתשכח), עמ' 292.

(١٢) "على الرغم من أن الشريعة لم تحرم تعدد الزوجات، وتركت الباب مفتوحًا أمام الرجل يتزوج ما يشاء من النساء، فإن المشرعين اليهود الذين جاءوا بعد ذلك قد أصدروا تشريعات تخالف النص وتناسب ظروف كل مكان وزمان، على سبيل المثال أصدر الحاخام " גֵּרְשׁוֹם בֶּן יְהוּדָה" "رابي جِيرْشُوم بن يَهُودا" (٩٦٠ – ١٠٢٨) المُكنَّى: "גֵּרְשׁוֹם מְאוֹר הַגּוֹלָה" "جِيرْشُوم نُور الشَّتَات"؛ الذي عاش فى ألمانيا فى العصر الوسيط فى ماينز حظرًا يحرم على اليهود اتخاذ أكثر من زوجة واحدة أسوة بجيرانهم المسيحيين فى الدول الأوروبية، على حين نجد المُشرع موسى بن ميمون الذي عاش في الأندلس وشمال أفريقيا ومصر ١١٣٥–١٢٠٤م وهى بلدان تابعة للحضارة الإسلامية التي تبيح للرجل أن يجمع بين أربع زوجات، فقد استند إلى توصية علماء الجِمارا للرجل الذي توفى أربعة من إخوته، وجعلها حكمًا عامًا يسرى على جميع الرجال أسوة بجيرانهم المسلمين". للمزيد حول تعدد النساء في اليهودية (ينظر: أبو المجد، (دكتور) ليلى إبراهيم: المرأة بين اليهودية والإسلام، الدار الثقافية للنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧م، ص ٢٨).

(١٢) ירמיהו מלחי, חכמי שפיירא ויצירתם הרוחנית, שנתון "שאנן" תש"ע – כרך טו, עמ' 56.

(١٣) קְהִלּוֹת שׁוּ"ם: اختصار يطلق على التجمعات اليَهوديَّة في المدن الثلاث: שפייר شباير، أو كما كان يسميها اليهود "שְׁפִיְרָא"، ومدينة וורמס فورمس أو كما كان يسميها اليهود "וָרְמַיְזָה" "וָרְמַיְזָא"، ومدينة מיינץ ماينز بالألمانية أو كما كان يسميها اليهود "מָגֶנְצָה" "מֶגְנְצָא". ينظر: אשכנזי, שמואל, ירדן, דב: אוצר ראשי תיבות: בלשון ובספרות מימי קדם ועד ימינו, הדפסה שביעית, הוצאת ראובן מס, ירושלים, תשל"ח, עמ' 548.

وقد شَكَّلت تلك المدن الثلاث أكبر تجمع للجماعات اليَهوديَّة الذين أقاموا على ضفاف نهر الرَّاين في العُصور الوُسْطَى، حيث اشتهرت هذه المدن بمراكز تعليم التوراة، ومن تلك المدن انتشرت مراكز التعليم اليَهوديَّة في ربوع أَشْكِنَاز (ألمانيا). (ينظر: בר-נביא, אלי: האטלס ההיסטורי תולדות עם ישראל, מימי האבות עד ימינו, ידיעות אחרונות, תל-אביב, 1992, עמ' 79).

(١٤) אברהם יצחק איגוס: תשובות בעלי התוספות, תשובות חדשות שנאספו מכתבי יד שונים, ניו יורק, תלפיות ישיבה אוניברסיטה, תשי"ד, עמ' 29.

(١٥) بعض الحاخامات وضعوا شرطًا في عقد الزواج يقضي بعدم سفر الزوج في رحلات طويلة. ويتضح كذلك من الفتاوى في تلك الحقبة يظهر عدم وجود برهان على زواج اليهودي من امرأة ثانية في بداية القرن الحادي عشر، وهذا يوضح الغرض من سن تشريعات تحرم زواج التجار الأشكناز في البلاد البعيدة التي يسافرون إليها، حتى يَدْرَءُوا ظاهرة المرأة المعلقة. (ينظر: אברהם גרוסמן: חסידות ומורדות- נשים יהודיות באירופה בימי-הביניים. עמ' 131- 132).

(١٦) "ר' אליעזר בן יעקב" "رابي إِلِيعِيزِر بِنْ يَعْقُوفْ" تنَّاء من الجيل الثاني، نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني الميلادي. ذكر اسمه عدة مرات في "מסכת יומא" فصل "يُومَا" في التلمود، من تلاميذ רבי עקיבא، يطلق عليه "רבי אליעזר בן יעקב **הראשון**" للتفريق بينه وبين حاخام آخر يحمل الاسم نفسه من الجيل الرابع للتنائيم، عاش في منتصف القرن الثاني الميلادي. للمزيد ينظر: הלפרין, רפאל: אנציקלופדיה לבית ישראל החדשה, בני ברק, הקדש רוח יעקב, תשנ"ג, כרך כ', עמ' 156.

(١٧) תלמוד בבלי: סדר מועד, מסכת יומא, דף י, עמוד ב.

(١٨) ספר חסידים (תתקעג), עמ' 239.

(١٩) "מְדִינַת הַיָּם" يقصد بهذا المصطلح البلاد التي تقع فيما وراء البحر الأبيض، وأصبح يطلق توسعًا على أي مكان يقع خارج حدود ما يطلق عليه اليهود "ארץ – ישראל" "أرض إسرائيل" والمقصود بها أرض فلسطين التاريخية. ينظر: קוסובסקי, משה: אוצר לשון תלמוד ירושלמי, קונקורדאנציה לתלמוד ירושלמי, האקדמיה הלאומית הישראלית למדעים, 1979, עמ' 842.

(٢٠) ספר חסידים (תשעו), עמ' 196.

(٢١) اعتاد الكاتب أن يطلق على المسيحيين صفات سلبية ومشينة منها هذا النعت، وكلمة "לִסְטִים" جمع مفردها לִסְטִין أصلها يوناني לִיסְטִיס; lestes وتعني لص، وفي الغالب تطلق على اللص المسلح שׁוֹדֵד, גַּזְלָן. ينظر: אבן-שושן, אברהם: המלון החדש, אוצר שלם של הלשון העברית הספרותית, המדעית והמדוברת, ניבים ואמרות עבריים וארמיים, מונחים בינלאומיים, הוצאת קרית-ספר, בשבעה כרכים, הוצאת קרית-ספר, ירושלים, 1993, עמ' 1174.

(٢٢) ספר חסידים (תשעג), עמ' 194- 195.

(٢٣) "مما يستلفت النظر حقًا هو أن اليهود من بين الأمم القديمة لم يعرف عنهم شيء من النشاط التجاري عبر التاريخ القديم .. بقدر ما اشتهروا في العصور الوسطى بممارسة الاتجار في النقود أو الإقراض بالربا". من مقدمة كتاب "اليهود ليسوا تجارا بالنشأة" (ينظر: د.حسن ظاظا و السيد محمد عاشور: اليهود ليسوا تجارا بالنشأة، دار الاتحاد العربي للطباعة، القاهرة، ١٩٧٥).

(٢٤) אהובה ליברלס נוימן: מרחב ומרחק בספר חסידים, עמ' 31.

(٢٥) ספר חסידים (כא), עמ' 25- 26.

(٢٦) يعدُّ الندم أساس التوبة في اليهودية، الإقرار بالخطيئة أو الاعتراف بها ركن التوبة الركين، ولا تتم التوبة إلا به، وعلى التائب أن يعمل على استدراك ما اقترفه، بالندم والتكفير

عن الذنب، ومحاولة تصحيح ما أفسده. ينظر: الشرنوبي، محمد عبد العليم: التوبة في العهد القديم، سفر "يونا" أُنموذجًا، رسالة ماجستير، كلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر، القاهرة، ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م، ص ٦٣-٦٥.

(٢٧) משנה, סדר נזיקין, מסכת בבא קמא, פרק ט, משנה ה.

(٢٨) "פְּרוּטָה" "بروطا" (פְּרוּטָה عملة نقدية تافهة). كانت تساوي واحد على ألف من الليرة، وتقابل حاليًا אגורה التي تساوي واحد على مائة من الليرة أو الشيكل. אברהם אבן-שושן: המילון החדש, כרך חֲמִישִׁי, עמ' 2142.

(٢٩) ينظر: منصور، (دكتور) مصطفى عبد المعبود: ترجمة متن التلمود (المشنا)، القسم الرابع نزقين – الأضرار، تقديم: أ.د. محمد خليفة حسن، الطبعة الأولى، مكتبة النافذة، الجيزة، ٢٠٠٧، ص ٦٢.

(٣٠) אהובה ליברלס נוימן: מרחב ומרחק בספר חסידים, עמ' 32.

(٣١) ספר חסידים (תתתתרמח)

(٣٢) ספר חסידים (תתתתקסה), עמ' 421.

(٣٣) "وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابِعُ فَسَبْتٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ، لاَ تَعْمَلْ فِيهِ عَمَلًا مَّا أَنْتَ وَابْنُكَ وَابْنَتُكَ وَعَبْدُكَ وَأَمَتُكَ وَثَوْرُكَ وَحِمَارُكَ وَكُلُّ بَهَائِمِكَ، وَنَزِيلُكَ الَّذِي فِي أَبْوَابِكَ لِكَيْ يَسْتَرِيحَ، عَبْدُكَ وَأَمَتُكَ مِثْلَكَ." [سفر التثنية: ٥/ ١٤].

(٣٤) أُمر اليهود بأن يستعدوا للسبت وأن يعدوا كل احتياجاته قبل أن يحل وتوجب الشريعة على اليهودي الاستعداد ليوم السبت بالاغتسال، وتسريح الشعر, وتقليم الأظافر وارتداء الملابس الملائمة. وفي بلاد الشتات كانوا يحرصون على أن يعلنوا مَجيء السبت لأن اليهود كانوا يقيمون بين الأغيار، وكانوا يخشون كثيرا من تدنيس حرمة السبت. وكان החסידים

"الحسيديم" يمرون على الورش والمحال ويعلنون: "أغلقوا. جاء السبت". للمزيد حول الأحكام الخاصة بالسبت (ينظر: ضيف (دكتور)، محمد فوزي: أعياد اليهود– الطقوس والعادات في الأدب العبري، كلية الآداب، جامعة المنوفية، الطبعة الأولى، ٢٠١٦ ص ١٠– ١١.

(٣٥) يقصد بهذه الوصية بها إضافة يوم من الأيام غير المقدسة "יְמוֹת הַחֹל" أو "יְמֵי הַמַּעֲשֶׂה" إلى الأيام المقدسة (السبت وأيام الأعياد الدينية)، مثل إضافة اليوم التاسع من شهر تشري إلى اليوم العاشر "יום הכיפורים" "عيد الغفران" وقد وردت هذه الوصية في سفر اللاويين: "שַׁבַּת שַׁבָּתוֹן הוּא לָכֶם וְעִנִּיתֶם אֶת נַפְשֹׁתֵיכֶם בְּתִשְׁעָה לַחֹדֶשׁ בָּעֶרֶב מֵעֶרֶב עַד עֶרֶב תִּשְׁבְּתוּ שַׁבַּתְּכֶם". "إِنَّهُ سَبْتُ عُطْلَةٍ لَكُمْ، فَتُذَلِّلُونَ نُفُوسَكُمْ. فِي تَاسِعِ الشَّهْرِ عِنْدَ الْمَسَاءِ. مِنَ الْمَسَاءِ إِلَى الْمَسَاءِ تَسْبِتُونَ سَبْتَكُمْ" [سفر اللاويين: ٣٢/٢٣]. وفسَّر الحاخامات هذا الأمر أنه برغم عدم وجود قداسة رئيسة اليوم فإنه يجب أن يقدس أيضًا، وأن التوراة ذكرت التاسع من الشهر، مع أنه لا قداسة رئيسة لهذا اليوم للتذكير بوصية واجبة وهي: "להוסיף מן החול על הקודש" "إضافة يوم من غير المقدس إلى المقدس". وأنه يجوز إضافة يوم من غير الأيام المقدسة في نهاية الأيام المقدسة. ينظر موقع موسوعة التوراة المركزة אנציקלופדיה תורנית מרוכזת, مادة (מוסיף מן החול על הקודש) (8/9/2020- 05:10 am) www.yeshiva.org.il

وبرغم أن التوراة شددت على تقديس اليوم السابع من الأسبوع فقط (السبت)، فإنه يجب إضافة وقتًا يسيرًا من غير اليوم المقدس إلى المقدس (السبت) أي على اليهودي أن يستقبل السبت قبل ميعاده بدقائق قليلة من مساء يوم الجمعة، وهذا هو المقصود بوصية: "להוסיף מהחול על הקודש"، ويطبق الأمر نفسه فيما يتعلق بنهاية يوم السبت المقدس، فبرغم من أن قدسية السبت تنتهي بانتهاء اليوم، فهناك وصية "מצוות תוספת שבת" التي تحتم على اليهودي أن يواصل هذه القدسية لمدة زمنية أطول بعدة دقائق. وهذا الوقت الذي يضاف إلى الأيام المقدسة هو بمثابة تهيئة اليهودي لاستقبال ووداع السبت والأعياد؛ حتى لا يصيبه

الحزن الشديد. وأنه ليس هناك فصل تام بين الوقت المقدس وغير المقدس. للمزيد حول هذا الموضوع ينظر: הרב אליעזר מלמד: מוסיפים על הקודש على الرابط:

https://www.yeshiva.org.il/midrash/3502 (8/9/2020- 06:20 am)

(٣٦) ספר חסידים (תקצב), עמ' 162.

(٣٧) في كثير من الأحيان تحايل اليهود على الأوضاع والظروف التي مروا بها لكي يفلتوا من المصائب والأخطار التي لاحقتهم أحيانًا، أو للتحايل على أمر شرعي لا يرون فيه نفعًا لهم أو أن الشريعة تضيق عليهم فيجدون من الوسائل ما يتحايلون به سواء لتحقيق مغنم – كما فعل أصحاب السبت مثلاً [سورة البقرة: ٦٥، الأعراف: ١٦٣]– أم دفع ضر –كما فعلت "אֶסְתֵּר" "إستير" اليهودية التي أنقذت بني جلدتها مع عمها مردخاي من مؤامرة لقتلهم وإبادتهم ينظر قصة "إستير" في السفر المسمى باسمها.

(٣٨) ספר חסידים (רה), עמ' 75.

(٣٩) أصل كلمة "שַׁעַטְנֵז" "شِعَطْنِيز" غير معلوم، والمقصود به (אֲרִיג אָרוּג מְחוּטֵי צֶמֶר וּפִשְׁתִּים) النسيج أو الثوب المصنوع من خيوط الصوف والكتان معًا، (ينظر: אברהם אבן–שושן: המילון החדש, כרך שְׁבִיעִי, עמ' 2754). وكلمة "شَعَطنيز" تحمل عدة معان مختلفة الدلالة هي: أ– مزاوجة حيوانين مختلفي الجنس، كالحصان والأتان ب– استعمال حيوانين من جنسين مختلفين، كالثور والحمار، في تأدية عمل واحد ج– زراعة صنفين من المزروعات في حقل واحد. – ارتداء ثوب مصنوع من نسيجين مختلفين، كالصوف والكتان معًا. للمزيد حول الخلْط في الشريعة اليَهوديَّة (ينظر: د. سامي الإمام: الفكر العقدي اليهودي، ص ١٦٤–١٦٥).

"ولقد شدد الحَاخَامَات على كل ما يتعلق بالقماش المصنوع من الصوف والكتان، وحرَّموا حتى النوم على مراتب مصنوعة من مادتين. ولا يدخل اللباد الخشن ضمن حكم المادتين".

للمزيد (ينظر: عادين شتينزلتس: معجم المصطلحات التلمودية، ترجمة: سيد، (دكتور) مصطفى عبد المعبود، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، سلسلة الدراسات الأدبية واللغوية، العدد (١٩)، ٢٠٠١م، ص٢٦٣).

(٤٠) ספר חסידים (נג), עמ' 45.

(٤١) אהובה ליברלס נוימן: מרחב ומרחק בספר חסידים, עמ' 37

(٤٢) ספר חסידים (קכו), עמ' 61.

(٤٣) ספר חסידים (תתשכ), עמ' 284.

(٤٤) תלמוד בבלי: סדר מועד, יומא, דף י, עמוד ב.

- **قائمة المصادر والمراجع**

أولًا: المصادر والمراجع العربية

(أ) المصادر:

- القرآن الكريم.
- الكتاب المقدس، أي: كتب العهد القديم والعهد الجديد، طبعة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.

(ب) المراجع

- أبو المجد، (دكتور) ليلى إبراهيم: المرأة بين اليهودية والإسلام، الدار الثقافية للنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧م.
- منصور، (دكتور) مصطفى عبد المعبود: ترجمة متن التلمود (المشنا)، القسم الرابع نزقين – الأضرار، تقديم: أ.د. محمد خليفة حسن، الطبعة الأولى، مكتبة النافذة، الجيزة، ٢٠٠٧.

- الإمام، (دكتور) سامي: الفكر العقدي اليهودي، "موسوعة الجيب"، أهم أسس الديانة اليهودية وعناصرها ومقدساتها، ومختصر محتوى أجزاء المشنا الستة، القاهرة، (دون دار نشر وتاريخ).

ثانيًا: المصادر والمراجع العبرية

(أ) **المصادر**:

- ספר חסידים: על פי נוסח כתב יד אשר בפארמא, לר' יהודה החסיד, עם הגהות, תקונים, באורים ומראה מקומות מאת יהודה הכהן וויסטינעצקי, ברלין, 1891.
- תורה, נביאים, כתובים.
- תלמוד בבלי: הרב עדין שטיינזלץ, הוצאת המכון הישראלי לפרסומים תלמודיים, ירושלים, 1989.

(ב) **المراجع**

- גרוסמן, אברהם: הגירתה של משפחת קלונימוס מאיטליה לגרמניה, בירורים לראשיתו של הישוב היהודי בגרמניה בימי הביניים. ציון מ,ג/ד, תשל"ה.
- גרוסמן, אברהם: חסידות ומורדות, נשים יהודיות באירופה בימי הביניים, מרכז זלמן שזר לתולדות ישראל, ירושלים, 2001.
- דן, יוסף: חסידות אשכנז בתולדות המחשבה היהודית, האוניברסיטה הפתוחה, כרך א, תשנ"א.
- דן, יוסף: ר' יהודה החסיד, פרקים מסדרת גדולי הרוח והיצירה בעם היהודי, מרכז זלמן שזר לחקר תולדות העם היהודי, ירושלים, 2006.
- ליברלס נוימן, אהובה: מרחב ומרחק בספר חסידים, יחסו של ר' יהודה החסיד אל נסיעות של יהודים באשכנז במאה השתיים-

עשרה ובמאה השלוש-עשרה, עבודת מוסמך, החוג להיסטוריה של עם ישראל, האוניברסיטה העברית בירושלים, תשע"ד.

(ت) المعاجم والموسوعات

- אבן-שושן, אברהם: המלון החדש, אוצר שלם של הלשון העברית הספרותית, המדעית והמדוברת, ניבים ואמרות עבריים וארמיים, מונחים בינלאומיים, בשבעה כרכים, הוצאת קרית-ספר, ירושלים, 1993.
- הלפרין, רפאל: אנציקלופדיה לבית ישראל החדשה, כרך כ', בני ברק, הקדש רוח יעקב, תשנ"ג.
- לקסיקון מן המסד ליהדות ולציונות, הוצאת משרד הביטחון, תל-אביב, 1987.
- משה קוסובסקי: אוצר לשון תלמוד ירושלמי, קונקורדאנציה לתלמוד ירושלמי, האקדמיה הלאומית הישראלית למדעים, 1979.

ثالثًا: المواقع على شبكة المعلومات الدولية

- https://www.daat.ac.il/encyclopedia/value.asp?id1=179
- https://www.daat.ac.il/daat/olam_hatanah/mefaresh.asp?book=5&perek=28&mefaresh=raba
- https://www.yeshiva.org.il/midrash/3502
- www.yeshiva.org.il